ادب الدارس

﴿ بعد المدارس ﴾

هو خطابٌ لصاحب هذه المجلة ألقاهُ في اثنآء الاحتفال بتوزيع الجوائز على طلبة المدرسة البطريركية في بيروت في ٢٠ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٠ ننشرهُ في هذا الموضع اجابةَ لاقتراح بعض مشتركينا الادبآء . وهو هذا

ايها السادة

قد دُعيت للكلام بين ايديكم بما يتنزل منزلة خطابٍ اصرف بهِ مسامعكم الى غير ما يُتلَى عليكم من هذه الاسمآء المتتابعة والاعلام المتناسقة استدعآء لجمام الخواطر ودفعاً لما ينشأ عن مثل ذلك من ثقل الملل وان كان ولا ريب مما ترتاح اليهِ نفس كل وطنيّ يرى سباق فتياننا الاذكيآء ومباراتهم الى نيل قصب السبق في مضمار الفلاح . غير ان ضيق الوقت واشتراط الايجاز في القول يمنعانني من تخيُّر غَرَضٍ ذي بال أُفيض فيهِ في هذا الموقف الحافل ولا سيما ونحن في معمعان الفصل وتوقُّد وطيسهِ مع اعترافي بقلَّة البضاعة وقصر الباع . ولذلك رأيت ان اوجه كلامي الى الحلقات الأُوَل من طَلَبة هذه المدرسة الماثلين في هـذا المقام مقام الوداع ليكون بمنزلة درس اخير القيهِ عليهم في هذه السنة تثبت في محفوظهم آثارهُ ولا يذهب من نفوسهم تذكارهُ والله المسؤول ان يتولاَّني واياهم بهدايتهِ وتسديدهِ

فانكم ايها التلامذة النجبآء بل الاخوان الاحبآء قد قضيتم ههنا الشهور بل الاعوام حتى بلغتم الحدّ الذي فيهِ عرفتم من انفسكم معنى

تحمُّلكم مشاقّ الدرس والسهر وحمل طبائعكم على الجهد والنَصَب وفطم انفسكم عن ملاهي الحداثة واعطآء قياد اهوآئكم لمن يسوسها دونكم ومهاجرة المنازل التي ألفتموها والاهل الذين نشأتم بينهم والاخوان الذين جمعتكم واياهم دار المولد وألّفت بينكم وبينهم عشرة الصبآء . وما فيكم من يجهل ما في انشآء هذه المدرسة من مهمات التكاليف بين تشييد بنآئها وإعداد مُحِلاّتها وتوفير الرجال فيها على سياستكم وتهذيبكم والقيام عليكم في دروسكم وغذآئكم ومنامكم وسائر احوالكم وما يتجشم اولياؤكم من النفقات الطائلة والاهتمامات المتواصلة وان ذلك باجمعهِ وقفٌ على مصلحتكم وسعيٌ في شؤون آتيكم وتبليغكم الطور الذي تكونون فيهِ اهلاً لان تقبضوا على ازمّة عصركم وتحلُّوا المحلات الاولى من مجتمعكم وتكون لكم القدم السابقة في نشر المدنية وتعزيز شأن الوطنية والسعي فيما يعود نفعهُ عليكم وعلى البلاد

فاذا خرجتم من هذه المدرسة وفي ايديكم الاجازات المؤذنة باستكمالكم دروسها فاول ما اوصيكم بهِ المثابرة على درس ما تلقيتموهُ فيها وتمهُّد الذاكرة بهِ مخافة ان يسرع اليهِ النسيان فان آفة العلم كما قيل اهمالهُ . فاجعلوهُ حديث النفس في خلواتكم وتذاكروهُ في مجالسكم وروضوا باسرارهِ خواطركم حتى تستحكم ملكتهُ في اذهانكم وترسخ مسائلهُ في مخيّلاتكم وتمثل صورهُ في بدائهكم ولا تقنعوا منهُ بالقدر الذي بُلِّغتموهُ في حلقات الدرس ولكن استزيدوا ما وصلت اليهِ ايديكم منهُ وخذوا انفسكم بادمان البحث والاستقرآء لادراك كُنه المسائل والاحاطة باطرافها واستظهار نادّها وغريبها فان المدرسة لا تضمن لاحد ممن تلقّى علومها ان يخرج منها عالماً ولا ذلك

في غاية شيء من المدارس ولا في طوقهِ وانما العالم يصير عالماً في بيتهِ وفي مقام شغلهِ وهو استاذ نفسهِ على الحقيقة يبلّغها الكمال بادمان الجهد وتكرار المطالعة والاشتغال . ولست انكر على آحادٍ منكم بلغوا في التحصيل مبلغاً عزيزاً واحصوا من الاصول والقياس حظًّا جليلاً غير اني لا أُطرئ احداً منهم بانهُ قد استولى على شيء من غايات العلم ولا تقرّب من حدود الكمال فيهِ ولكني أُبشر الذين بلغوا هذه المنزلة وانتهوا الى آخر درجة من سلم الدروس بانهم قد صاروا اهلاً لان يضعوا قدمهم في اول درجة من سلم العلم ورجآئي بما عهدت من ذكآء افئدتهم وثبات عزائمهم انهم سيُحصَون عن قليل في سواد اهل العلم القائمين برفع منارهِ والتطريس على آثارهِ اذا لم تهبّ عليهم ريح الكسل التي تطفئ نور الذكآء وتنسف حصون الثبات ألا وهو الآفة التي أُحذّركم شرّها وأسأل لكم العافية منها واذا جاوزتموها لم اخشَ على عزائمكم ان تُكسع بوهن ولا على جهدكم ان يُنال بضياع

ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينفع بعلمهِ الاَّ اذا كان راسخ القدم فيهِ مستبطناً لاسرارهِ ودخائلهِ محيطاً بما تشعب من فروعهِ ومسائله وذلك مما لا يُنال الاَّ بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يُتوخى حفظهُ واخلآء الذرع لاحصآئهِ . ولذلك فاني انصح للمستزيد منكم ان لا يتعرض لما لا يعنيهِ من العلم ولا يتجاوز ما درسهُ الى غيرهِ قبل ان يستوفي حظهُ منهُ ويرسخ في ملكتهِ . وان وجد من نفسهِ قدرةً على التوسع وميلاً الى المزيد فليكن فيما يجانس مأخذهُ وينضمّ في سلكهِ بحيث لا يكون انتقال الذهن بعيداً ولا تتعارض فيهِ صوَر العلوم بما يُضعِف ملكتها فيهِ وتضيق الحافظة

عن احصآئهِ . على ان المرء مفطورٌ على التطالّ مولعٌ بالاطلاع على ما لم يعلم ولكل علمٍ فائدة تتوفر بها مادة العقل ويتسع مذهب الفكر ويبعد مرمى البصيرة فلا يمتنع على من شآء منكم ان يزين علمهُ بما يضمّ اليهِ من سائر العلوم ويشحذ ذهنهُ بما يصل اليهِ اطّلاعهُ من المدارك ولكن ليكن ذلك بحيث لا يصرفهُ عما هو فنُّهُ الجدير بالتوسع فيهِ وليقتصر فيهِ على حد المشاركة دون التبحر وقصد الاحاطة لئلا يقصر باعهُ عن تناول كل واحد من العلوم التي يتوخاها فيخرج متخلفاً في الجميع . وان سمعتم ان فلاناً المنعوت بعلامة العلمآء وفيلسوف العصر قد احاط بمتفرق العلوم واصبح فى كلٍّ منها اماماً فانما هو تزيين المحال وتلقين الغرور وهؤلآء مشاهير علمآء المتقدمين والمتأخرين لا تكادون تجدون واحداً منهم ممن يشار اليهِ بالسبق والتبريز الاَّ وهو قد اشتهر بجنسٍ من العلم ولم يكن لهُ في سائر العلوم الأُخر الا مشاركات

واذا ضمكم مجلس ادب وتشمرتم للبحث فيهِ فلا تتفرغوا للنقد والتخطئة والتنبيه على هفوات اهل العلم ارادة ان تكاشفوا الناس بمبلغ علمكم وتوهموهم انكم ارفع ممن تخطئونهُ مقاماً واوسع علماً فان ذلك يبعث النفار منكم في النفوس والاشمئزاز في الصدور وتُلحَظون بعين الكراهة من رصفائكم وانماطكم وتنصبون انفسكم اغراضاً للقارضين واهدافاً للطاعنين وتغرون الالسنة بالغضّ من مزيتكم واحسانكم فيكون ذلك سبباً في حط مقامكم ونصب العداوة لكم والوقوف لكم بالمرصاد فيما تتوخونهُ من المقاصد وتتجهون اليهِ من الرغائب . واحذّركم كل التحذير من الطعن على

من اشتهر بفضلٍ او مزيَّة واعترف لهُ سواد الناس ولا سيما اهل العلم بالتقدم فانكم ان فعلتم جعلتم انفسكم غرضاً لكل من تشيَّع لهُ فاكثرتم اعداءكم ومناصبيكم في حين انتم على حدثان امركم احوج الناس الى الاستكثار من الصحابة والاصدقآء والمشايعين في احوال الدنيا والدافعين الى التقدم في مراتب الشهرة والفضل . ولا تحسبُنَّ الناس سوآءً في معرفة الصواب فان ذوي العلم فيهم نفرٌ معدود والمنصفون من اولئك قليل وفيهم من لا يهمهُ ان يعرف موضع الحق فلا يتفرَّغ للبحث في دعواكم وانما يحكم بمجرَّد ما تقرر في علمه او سبق الى وهمهِ من افضلية الاشهر فلا تحصلون منها على طائل . واذا كان ذلك حال العلمآء وهو الواقع في كثيرٍ من الامر فما الظن بغيرهم ممن لا اداة لهُ للحكم ولا موقع عندهُ للفصل

(ستأتي البقية)

ديوان ابن مامية الرومي

(بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود)

(ملحق ثانٍ)

في تواريخهِ الشعرية

اشرنا سابقاً الى تواريخ هذا الشاعر عند كلامنا على ديوانهِ ووعدنا ان نرصد للبحث فيها فصلاً خاصاً ووفآءً بذلك الوعد نقول

لابن مامية في الاوراق الباقية من ديوانهِ بيدنا تواريخ شعريَّة كثيرة بديعة السبك تدل على تفنُّنهِ في الشعر وسلامة ذوقهِ في النظم وتبريزهِ في